

حيوانات وردت في آيات

(١٠)

كَبْشِ إِسْمَاعِيلَ

أحمد سويلم

مكتبة العبيد

٢ مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

كبش إسماعيل. ط٢. - الرياض، ١٤٢٧هـ

٢٨ ص : ١٧×٢٢سم

ردمك: ٩٩٦٠-٤٠-٩٣٧-٦

١- قصص القرآن. ٢- قصص الأطفال. ٣ - العنوان

ب- السلسلة

١٤٢٧/٨٧٣

ديوي ٢٢٩,٥

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٨٧٣

ردمك: ٩٩٦٠-٤٠-٩٣٧-٦

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

حقوق الطباعة محفوظة للناسر

الناسر

مكتبات وناشر
العبيكان
Obekan
Publishers & Booksellers

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ

عَظِيمٍ﴾

[الصفاء ١٠٦ - ١٠٧]



لأنه أشرفُ الحيوانات فوق الأرض كانَ هوَ الفداءَ والأضحيةَ في أيام الحجِّ. وهذه قصةٌ تحكي أروعَ المواقفِ في التاريخِ على برِّ الوالدين.

ولأنَّ اللهَ تعالى يَحْكُمُ الدُّنْيَا بِقُدْرَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فَقَدْ شَاءَ اللهُ لِإِسْمَاعِيلَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا ابْنَ نَبِيٍّ، يأخذُ عن أبيه، أَبِي الْأَنْبِيَاءِ إِيْمَانَهُ الصَّادِقَ بِالْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَتَسْلِيمَهُ بِكُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وَلَمْ يَحْدِثْ لِإِسْمَاعِيلَ مَا حَدِثَ لِأَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّمَا أَخَذَ عَنْهُ خُلَاصَةً تَجَارِبِهِ.

فَقَدْ عَانَى أَبُو الْأَنْبِيَاءِ الْأَذَى الْكَثِيرَ مِنْ قَوْمِهِ، وَوَضَعَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مَحَنٍ كَثِيرَةٍ قَاسِيَةٍ. فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا أَقْوَى عَزِيمَةً وَإِصْرَارًا عَلَى الْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ۖ﴾ [النحل: ١٢٠].

فَقَدْ نَشَأَ إِبْرَاهِيمُ فَوْجَدَ أَبَاهُ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، بَلْ كَانَ يَنْحِتُهَا، وَيَبِيعُهَا. مَاذَا يَفْعَلُ وَلَدٌ - مَنْحَهُ اللهُ الْعَقْلَ الرَّاجِحَ وَالْوَعْيَ الصَّادِقَ - مَعَ أَبِيهِ؟

هَلْ يَسْفُهُ عَمَلَهُ، وَيَحْقُرُ أَصْنَامَهُ وَآلِهَتَهُ، فَيَنْفَرُ مِنْهُ أَوْ يَرْمِيهِ بِالْعُقُوقِ؟
كَانَتْ هَذِهِ أُولَى الْمَحَنِّ فِي حَيَاةِ الْفَتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَيَحَاوِلُ الْفَتَى أَنْ يُحَاوِرَ أَبَاهُ بِاللِّينِ وَالْأَدَبِ الْجَمِيلِ: يَا أَبَتِ، أَتَتَّخِذُ
أَصْنَامًا آلِهَةً، وَهِيَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ؟!

فَقَدْ رَأَى أَبَاهُ يَنْحِتُهَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَهِيَ جَمَادٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَتَكَلَّمُ
وَلَا تَأْكُلُ وَلَا تَسْتَطِيعُ الدِّفَاعَ عَنْ نَفْسِهَا فَكَيْفَ تَكُونُ آلِهَةً تُعْبَدُ، هَذِهِ الْحَقَائِقُ
جَعَلَهَا اللَّهُ فِي عَقِيدَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْذُ الصَّغَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ عَنْهُ:
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿[الأنبياء: ٥١، ٥٢].

وَقَالَ أَيْضاً عَنْهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، فإِبْرَاهِيمُ كَانَ يَعْلَمُ مِنْذُ صَغَرِهِ الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَى وَهِيَ
أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ خَالِقُ هَذَا الْكَوْنِ وَهُوَ وَحْدَهُ سَبْحَانَهُ يُسْتَحَقُّ الْعِبَادَةُ.

لِذَلِكَ نَاقَشَ أَبَاهُ بِكُلِّ أَدَبٍ فِي الْأَوْثَانِ الَّتِي يَنْحِتُهَا وَيَعْبُدُهَا قَوْمُهُ، بَلْ إِنَّهُ
نَاقَشَ قَوْمَهُ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ الْخَالِقِ الْمَدْبِرِ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ حَقِيقَةَ الْحِجَارَةِ الَّتِي
يَعْبُدُونَهَا.

فأجابه قومه بكل كبر و صلفٍ و غرور: لقد وجدنا آباءنا يعبدونها فنحنُ
نعبدُها كما فعل آباؤنا.

إنه جوابٌ يدلُّ على الجهلِ الكبيرِ الذي هم فيه.

فقال لهم إبراهيمُ: إذا كان آباؤكم على خطأ كبيرٍ في هذه العبادة فهل
تبعونهم؟! ألا تنظرون إلى الأصنام إنها لا تنطقُ .. لا تنفعُ .. لا تضرُّ .. لا
تشفي من المرضِ .. إذاً لا تستحقُّ أن تكونَ إلهاً يعبد.

وبعد جدالٍ طويل؛ إبراهيم يأتهم بالحجج والأدلة، وقومه يدلُّون بالجهلِ
هدد إبراهيمُ أصنامهم قائلاً بصوتٍ منخفضٍ ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ
أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وانتظر إلى يوم العيدِ حيثُ يخرجُ أهلُ
القريةِ خارجَها ويتركون طعامهم عندَ الأصنام لتباركها!! ثم يعودون مساءً
للعشاء، دخل إبراهيمُ - عليه السلام - فقال للأصنام مستهزئاً بها: هيا كلوا
من هذا الطعامِ مالكم لا تأكلون، ولماذا لا تجيئون؟! ثم أسرع إلى أصنام
قومه يحطِّمها بمعو له، ويتحدَّها أن تدافعَ عن نفسها، ثم تركَ معو له في عنقِ
كبيرها.

لَقَدْ تَطَاوَلَ الْفَتَى إِذْنٌ عَلَى آلِهَةِ قَوْمِهِ، وَعِقَابٌ ذَلِكَ عِنْدَهُمُ الْإِحْرَاقُ
بِالنَّارِ، وَهُنَا تَكُونُ الْمِحْنَةُ الثَّانِيَةُ.

يَجْتَمِعُ الْقَوْمُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُشَاهِدُونَ الْقِصَاصَ فَيَمْنَعُونَ عَلَى
مَعْبُودَاتِهِمْ. سَأَلُوهُ: أَأَنْتَ الَّذِي حَطَّمْتَ أَصْنَامَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟

قَالَ مُشِيرًا إِلَى كَبِيرِ الْأَصْنَامِ:

- اسْأَلُوهَا إِنْ كَانَتْ تَنْطَقُ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ لَحْظَةٍ صَمْتٍ: نَعَمْ، فَعَلْتُهَا بِمَعُولِي هَذَا.

إِذْنٌ لَقَدْ اعْتَرَفَ الْفَتَى وَتَجَرَّأَ، فَحَقَّ عَلَيْهِ الْعِقَابُ.

وَسُئِلَ آخِرًا: أَتُعْتَرِفُ؟

قَالَ: بِاللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبِّ الْبَشَرِ جَمِيعًا.

وَجَمَعُوا الْحَطَبَ وَأَشْعَلُوا النَّارَ، وَصَعَدَتْ أَلْسِنَتُهَا إِلَى الْفَضَاءِ. وَيُشِيرُ

كَبِيرُ الْقَوْمِ أَنْ أَوْثَقُوا إِبْرَاهِيمَ وَالْقُوَّةَ فِي هَذِهِ النَّارِ.

لَمْ يَخْشَ إِبْرَاهِيمُ النَّارَ، بَلْ ابْتَسَمَ وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِالْإِيمَانِ، وَنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ مُسَلِّمَةٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ.

وَيُلْقُونَهُ فِي النَّارِ الْمُتَأَجِّجَةِ، وَيَظِلُّ الْقَوْمُ مُنْتَظِرِينَ إِلَى أَنْ خَبَتْ وَسَكَتَتْ.
فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ سَلِيمًا مُعَافًى؛ فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ.

قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٩١ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ ٩٢ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ٩٣ ﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ﴾ ٩٤ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ٩٥ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ٩٧ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩١ - ٩٨] ،
وقال أيضاً: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩ ، ٧٠] *.

وَكَانَتْ آيَةُ كُبْرَى لِكُلِّ مُعَانِدٍ مُجَادِلٍ.

* فائدة لطيفة: عن أم شريك - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ أنه أمر بقتل الوزغ وقال: «وكان ينفخ النار على إبراهيم» والوزغ هو «أبو برص».

لَكِنَّ الْقَوْمَ خَافُوا إِذَا اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَنَالُوا أَقْسَى الْعِقَابِ مِنْ مَلِكِهِمْ.
وَهَاهُوَ ذَا مَلِكُهُمْ نَمْرُودُ يَسْتَدْعِيهِ وَيَتَحَاوَرُ مَعَهُ: مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَيْقَظَتْهَا
يَا إِبْرَاهِيمُ؟! وَمَا هَذَا إِلَهُ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟!

وَيُرَدُّ إِبْرَاهِيمُ فِي ثَبَاتٍ وَطَلَاقَةٍ: رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

وَهَذَا سَخَرَ الْمَلِكُ وَقَالَ: إِذَا كَانَ إِلَهُكَ هَذَا يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَنَا أُحْيِي
وَأُمِيتُ. أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْكُمَ عَلَى إِنْسَانٍ بِالْمَوْتِ وَأُمنَحَ الْحَيَاةَ، وَأَسْتَطِيعُ أَنْ
أَحْكُمَ عَلَى أَحَدِ الْأَحْيَاءِ بِالْمَوْتِ، فَأَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الشَّمْسَ وَجَعَلَهَا تَأْتِي مِنَ الشَّرْقِ، وَتَغِيبُ فِي
الْغَرْبِ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ بِقُوَّتِكَ وَجَبَرَوَتِكَ أَنْ تُطْلِعَ الشَّمْسَ مِنَ الْغَرْبِ
وَتَجْعَلَهَا تَغِيبُ فِي الشَّرْقِ؟

وَعَجَزَ الْمَلِكُ عَنِ الْإِجَابَةِ، وَبَدَأَ صَلَفُهُ وَجَهْلُهُ، وَصَدَمَتُهُ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ!
وَأَمْرَهُ بِالْانْصِرَافِ مِنْ أَمَامِهِ، وَأَخَذَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِهِ وَيَتَوَعَّدُهُمْ
بِالْعِقَابِ الشَّدِيدِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾ .

عَزَمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ بَابِلَ إِلَى أَرْضِ أُخْرَى يَدْعُو فِيهَا النَّاسَ إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ، فَانْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى فِلَسْطِينَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ هُنَاكَ سِوَى الْقَلِيلِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾
[الأنبياء: ٧١]

ثُمَّ يَعُمُّ الْقَحْطُ وَالْغَلَاءُ أَرْضَ الشَّامِ، فَيَرْحَلُ إِلَى مِصْرَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ
سَارَةُ، وَكَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ.

وَهُنَاكَ أَشَارَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى جَارِيتِهَا الْمِصْرِيَّةِ (هَاجِرَ).

وَعَادَ الْجَمِيعُ إِلَى فِلَسْطِينَ، حَيْثُ دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِهَاجِرَ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا
زَكِيًّا هُوَ إِسْمَاعِيلُ، فَيَسَعِدُهُ بِهِ أَبُوهُ، وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنَاهُ، وَكَأَنَّ اللَّهَ يُشَبِّهُ عَلَى صَبْرِهِ
بَعْدَ هَذِهِ الْمُعَانَاةِ الطَّوِيلَةِ.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]

وَيَأْمُرُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِالرَّحِيلِ إِلَى صَحْرَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.
وَيَرْحَلُ إِبْرَاهِيمُ وَهَاجِرٌ وَمَعَهُمَا وَلَدُهُمَا الصَّغِيرُ إِسْمَاعِيلُ، تَقُودُهُمْ رِعَايَةُ
اللَّهِ.

وَيَطُولُ الْمَسِيرُ، وَيَمْتَدُّ السَّفَرُ، وَتَشْتَدُّ الْمَعَانَاةُ. ثُمَّ يَتَوَقَّفُ إِبْرَاهِيمُ فِي مَكَانٍ
قَفْرٍ مُوحِشٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا حَيَاةَ، ثُمَّ يَقُولُ: سَنَسْتَقِرُّ هَاهُنَا.
وَتَسْأَلُهُ هَاجِرٌ: هُنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُوحِشِ؟!

وَلَمْ يَرُدِّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهَا، فَأَدْرَكَتْ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ رَأْيًا فِي هَذَا، وَإِنَّمَا هُوَ
وَحْيُ اللَّهِ.

وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ يُفَاجِئُ إِبْرَاهِيمَ هَاجِرٌ: إِنَّنِي رَاجِعٌ إِلَى فِلَسْطِينَ وَحَدِي،
وَسَأَتْرُكُ لَكَ وَلِوَلَدِكَ مَا تَبَقَّى مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ.

قَالَتِ الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ: إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟ وَلِمَنْ تَتْرُكُنَا هَاهُنَا؟ وَمَنْ يَحْمِينَا مِنَ
الْوُحُوشِ؟ خُذْنَا مَعَكَ، وَلَا تَتْرُكُنَا وَحَدَنَا.

وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُصَمِّمُ عَلَى الْمَسِيرِ.

وَتَتَّبِعُهُ هَاجِرٌ، وَتَكَرَّرُ عَلَيْهِ قَوْلُهَا مَرَّاتٍ، وَإِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. وَعِنْدَئِذٍ أَدْرَكَتْ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَسَأَلَتْهُ: أَللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ.

فَأَجَابَتْهُ هَاجِرُ بِرُوحِ الْمُؤْمِنَةِ، الْوَائِقَةِ بِرَبِّهَا:

- مَا دَامَ هَذَا أَمَرَ اللَّهُ فَلَنْ يَتَخَلَّى عَنَّا. اذْهَبْ أَنْتِ فِي رِعَايَةِ اللَّهِ.

وَيُعْطِي إِبْرَاهِيمُ ظَهْرَهُ إِلَيْهِمَا، وَيَصْعَدُ أَقْرَبَ الرُّبَى، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ مَكَانَ الْبَيْتِ، وَيَدْعُو اللَّهَ مُتَوَسِّلًا:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٧].

وَيَنْطَلِقُ إِبْرَاهِيمُ تَارِكًا زَوْجَتَهُ وَوَلَدَهُ فِي رِعَايَةِ اللَّهِ.

لَقَدْ سَلَّمَتْ هَاجِرُ بِهَذَا الْقَدَرِ، فَتَحَلَّتْ بِالصَّبْرِ، وَأَخَذَتْ تَقْتَصِدُ فِي الزَّادِ وَالْمَاءِ، حَتَّى نَفِدَا تَمَامًا، وَبَكَى الْوَلِيدُ جُوعًا وَعَطَشًا حِينَمَا جَفَّ ثَدْيُهَا مِنَ اللَّبَنِ.

إِنَّ وَلَدَهَا يَتَلَوَّى الْمَاءَ أَمَامَ عَيْنَيْهَا وَهِيَ عَاجِزَةٌ تَمَامًا عَنْ فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ .
رَفَعَتْ كَفَّيْهَا إِلَى السَّمَاءِ تَدْعُو خَالِقَ هَذَا الْكَوْنِ أَنْ يَمْنَحَهَا الْفَرَجَ ،
وَيَخْلُصَهَا مِنْ هَذِهِ الْمَحْنَةِ الْقَاسِيَةِ ؛ لَقَدْ أَوْشَكَتْ عَلَى الْهَلَاكِ هِيَ وَوَلِيدُهَا .
مَاذَا تَفْعَلُ ؟

فَكَّرَتْ فِي الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ ، مَاءٍ أَوْ زَادٍ ، تَرَكَتْ وَلِيدَهَا يَبْكِي ، وَرَاحَتْ
تَعْدُو وَتُهْرُولُ بِأَحْتِةٍ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ .

صَعَدَتْ جَبَلَ الصَّفَا وَأَطْلَّتْ مِنْهُ عَلَى وَادِي مَكَّةَ ، فَلَمْ تَرَ إِلَّا الْجِبَالَ
السُّودَاءَ الْجُرْدَاءَ ، ثُمَّ عَادَتْ فِي فَرْعٍ وَذُعُرٍ ، وَنَظَرَتْ حَيْثُ جَبَلُ الْمَرْوَةِ ،
فَحَسِبَتْ أَنَّ لَدَيْهِ مَاءً ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمْ تَجِدْ غَيْرَ السَّرَابِ .

وَأَخَذَتْ هَاجِرٌ تَجْرِي بِلَا وَعْيٍ وَتُهْرُولُ ، تَذْهَبُ وَتَجِيءُ بَيْنَ جَبَلِي الصَّفَا
وَالْمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، وَالطُّفْلُ تَحْتَ عَيْنَيْهَا تُرَدِّدُ صِيَاحَهُ جَنَابَاتُ الصَّحْرَاءِ ،
وَيَخْتَرِقُ قَلْبَ أُمِّهِ حَتَّى أَعْمَاقِهِ .

(يَا رَبِّي الرَّحْمَةُ) . كَانَ دَعَاءُهَا الدَّائِمَ ، حَتَّى تَعَبَتْ مِنَ السَّعْيِ وَالْهَرُولَةِ ،
فَعَادَتْ إِلَى حَيْثُ وَلِيدُهَا ، تَنْتَظِرُ مَا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ .

ويزدادُ إسماعيلُ بكاءً ودبًا فوق الأرضِ بقَدَمَيْهِ وَيَدَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ
وَالظَّمَا.

وَفَجْأَةً يَسْتَجِيبُ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، يَنْبُثُ الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ الصَّغِيرِ
بَغْزَارَةٍ شَدِيدَةٍ! لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ مُلَكًا فَضْرَبَ الْأَرْضَ بِجَنَاحِهِ فَانْبَثَقَ الْمَاءُ.

مَاذَا حَدَثَ؟! أَحْلَمُ هَذَا أَمْ حَقِيقَةٌ؟!

لَمْ تُصَدِّقِ الْأُمُّ فِي الْبَدَايَةِ حَتَّى لَمَسَتْ الْمَاءَ بِيَدَيْهَا، وَأَخَذَتْ حَفْنَةً مِنْهُ
وَشَرَبَتْ مَاءً عَذْبًا فُرَاتًا.

إِنَّهُ مَاءٌ زَمْزَمَ، هَذِهِ الْعَيْنُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي فَجَّرَهَا اللَّهُ رَحْمَةً بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ،
وَتَلْبِيَةً لِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي تَعْمِيرِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْجَدْبَى.

أَخَذَتْ هَاجِرٌ تَحْتَضِنُ وَلَدَهَا، وَتُقَبِّلُهُ؛ فَقَدْ كَفَّ عَنِ الْبُكَاءِ، وَارْتَوَى،
وَدَبَّتِ الْحَيَاةَ مَرَّةً أُخْرَى فِي جِسْمِهِ.

- حَمْدًا لَكَ اللَّهُمَّ، يَا رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَرَبَّ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ.

وَبَقِيَ عَيْنُ زَمْزَمَ ذِكْرَى طَيِّبَةً خَالِدَةً عَلَى الدَّهْرِ يَجْتَمِعُ حَوْلَهَا الْحَاجُّونَ
يَشْرَبُونَ وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ.

لَقَدْ سَقَى الْمَاءُ الطِّفْلَ وَأُمَّهُ، كَمَا سَقَى الْأَرْضَ مِنْ حَوْلَهُمَا. وَمَا أَشَدَّ
عَطَشَ الصَّحْرَاءِ! وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى حَوَّمَ الطَّيْرُ فَوْقَ الْمَاءِ.

وَأَهْلُ الصَّحْرَاءِ أَهْلُ فِطْنَةٍ وَفِرَاسَةٍ، فَإِذَا رَأَوْا طَيْرًا يَحُومُ أَدْرَكُوا أَنَّهُ يَحُومُ
فَوْقَ مَاءٍ. لِهَذَا فَقَدْ شَاهَدَ قَوْمٌ مِنْ قَبِيلَةِ جُرْهُمَ تَحْلِيْقَ الطَّيْرِ وَهُمْ يَسِيرُونَ
قُرْبَ هَذَا الْمَكَانِ، فَأَرْسَلُوا مَنْ يُؤَكِّدُ لَهُمْ وُجُودَ الْمَاءِ.

وَيَعُودُ دَلِيلُهُمْ لَاهِئًا: إِنَّهُ مَاءٌ كَثِيرٌ لَا يَتَوَقَّفُ، وَبِجَانِبِهِ امْرَأَةٌ وَطِفْلُهَا.

- أَيُّ امْرَأَةٍ وَأَيُّ طِفْلٍ؟!

أَخَذُوا يَتَحَاوَرُونَ مُنْذَهَشِينَ حَتَّى أَشَارَ كَبِيرُهُمْ بِالْإِنْطِلَاقِ إِلَى مَكَانِ الْمَاءِ.
هَاهِي هَاهُ تَغْسِلُ جِسْمَ وَلِيدِهَا وَتُضَاحِكُهُ، فَإِذَا بَغْبَارٌ يَتَطَايَرُ فَوْقَ التَّلَالِ
الْجَنُوبِيَّةِ، يَنْشِقُّ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْفُرْسَانِ.

نَزَلَ الْجَمِيعُ عَنْ خُيُولِهِمْ، تَوَقَّفُوا بِالْقُرْبِ مِنْهَا! وَتَفْطِنُ هَاجِرٌ إِلَى
وُجُودِهِمْ، فَتَضُمُّ وَلِيدَهَا فِي خَوْفٍ وَرُغْبٍ، لَكِنَّ كَبِيرَهُمْ يَتَقَدَّمُ فِي مَوَدَّةٍ
شَدِيدَةٍ:

- لَا تَخَافِي يَا سَيِّدَتِي. هَلْ لَنَا أَنْ نُقِيمَ بِجَانِبِكَ وَنَشْرَبَ مِنْ هَذَا الْمَاءِ؟
أَحْسَتْ هَاجِرُ بِالْأَطْمِنَانِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يُرِيدُونَ بِهَا سُوءًا. قَالَتْ:
- تَفَضَّلُوا، فَالْمَاءُ هُنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.
قَالَ كَبِيرُهُمْ: مَنْ تَكُونِينَ أَيُّهَا السَّيِّدَةُ؟!

قَالَتْ: هَذَا وَلَدُ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَا أُمُّ هَذَا الْغُلَامِ، وَقَدْ تَرَكْنَا هُنَا وَحَدَنَا
وَتَفَجَّرَ هَذَا الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيَّ وَلِيَدِي!
دهشَ الْجَمِيعُ لِحَدِيثِ هَاجِرَ؛ فَهَمْ يَعْرِفُونَ جَيِّدًا أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ لَمْ يَكُنْ
بِهَا مَاءٌ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّهُمْ أَبْدَوْا مَوَدَّتَهُمْ لَهَا وَلَوْلَيْدِهَا وَأَعْطَوْهَا عَدَدًا مِنْ
الْأَغْنَامِ تَرْعَاهَا هِيَ وَلَوْلَيْدُهَا.

أَمَّا هَاجِرُ فَقَدْ شَكَرَتْ اللَّهَ عَلَى أَنْ جَعَلَ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ.
وَلِنُعُذْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. إِنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرُكَ
زَوْجَتَهُ وَلَوْلَدَهُ، وَيُوحِي إِلَيْهِ اللَّهُ أَنَّ الْأَطْمِنَّ يَا إِبْرَاهِيمُ؛ فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ
دُعَاءَكَ.

لَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ يُسْتَطِيعُ أَنْ يَنْسَى امْرَأَتَهُ وَفَلَذَتْهُ كَبْدُهُ؛ فَقَدْ كَانَ يَزُورُهُمَا
بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى حَيْثُ يُكْمِلُ رِسَالَتَهُ إِلَى النَّاسِ.

وَيَطْمَئِنُّ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ؛ فَقَدْ شَبَّ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَ
بِالرَّغْيِ مِثْلَ أَوْلَادِ جُرْهُمَ، بَلْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ، وَنَطَقَ بِلِسَانِهِمْ.

وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَاسِيَةٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ تِلْكَ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهِ وَقَدْ أَخَذَهُ الْحَيْنُ
إِلَى امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا أَرْقَتْهُ، وَجَعَلَتْهُ يَقُومُ مِنْ نَوْمِهِ حَائِرَ
الْقَلْبِ. لَقَدْ جَاءَهُ هَاتِفٌ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ.

تَأَمَّلَ إِبْرَاهِيمُ حَالَهُ، إِنَّهُ نَبِيٌّ، وَحُلِمَ الْأَنْبِيَاءُ رُؤْيَا صَادِقَةً لَا تَكْذِبُ. لَعَلَّهَا
مِحْنَةٌ جَدِيدَةٌ تُضَافُ إِلَى مِحْنَةِ السَّابِقَةِ، يُرِيدُ اللَّهُ — جَلَّ وَعَلَا — أَنْ يَمْتَحِنَهُ
بِهَا.

إِنَّ عَلَيْهِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ.

هَاهُوَ ذَا الْآنَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا، وَكَانَ يَأْمَلُ فِي الْوَلَدِ، لَكِنْ امْرَأَتُهُ
سَارَةُ كَانَتْ لَا تَلِدُ، وَيتَزَوَّجُ بغيرِهَا فَتَلِدُ لَهُ وَلَدًا زَكِيًّا، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِأَنْ يُسْكِنَهُ
وَأُمَّهُ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، يُعَانِيَانِ الْجُوعَ وَالظَّمَأَ وَخَطَرَ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ.

لَكِنَّ دُمُوعَ عَيْنَيْهِ تَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ، فَتَحْدُثُ الْمُعْجِزَةُ، الْمَاءُ، وَالرَّغْيُ، وَالْأَفْنِدَةُ
مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ.

وَالْآنَ آتِ الْأَوَانَ أَنْ نَطْلَعَ عَلَى الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ... إِبْرَاهِيمُ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الْمَقْطُوعُ مِنَ
الْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ.. الْمُهَاجِرُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْوَطَنِ.. قَدْ وَهَبَهُ اللَّهُ بَعْدَ طَوِيلِ انْتِظَارٍ
غُلَامًا حَلِيمًا يَأْنَسُ بِهِ وَيَبْلُغُ مَعَهُ السَّعْيَ، بِدَأْ الْغُلَامُ يَسْعَى كَسَعِي أَبِيهِ،
وَيُرَافِقُهُ فِي الْحَيَاةِ.. مَا كَادَ يَأْنَسُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَذْبَحُهُ.. إِنَّهَا
إِشَارَةٌ مِنْ رَبِّهِ بِالتَّضَحِّيَةِ.. فَمَاذَا؟ لَا يَتَرَدَّدُ إِبْرَاهِيمُ.. وَلَا يَفْكَرُ إِلَّا فِي طَاعَةِ
رَبِّهِ، إِنَّهُ أُمَّةٌ حَقًّا.. نَعَمْ، إِشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَتْ وَحِيًّا صَرِيحًا وَرُؤْيَى الْأَنْبِيَاءِ
وَحِيًّا.. إِشَارَةٌ لَكِنِّهَا حَقٌّ وَتَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ لِلطَّاعَةِ الْمَطْلُوقَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، إِنَّهُ يَأْمُرُهُ
بِذْبَحِ فَلَذَةِ كَبِدِهِ!! لَمْ يَعْتَرِضْ.. لَمْ يَتَرَدَّدْ.. لَمْ يَسْأَلْ لِمَاذَا يَا رَبِّي أَذْبَحُ ابْنِي
الْوَحِيدَ.

لَمْ يَأْخُذْهُ قَسْرًا وَلَا قَهْرًا، وَإِنَّمَا عَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ:
- لَيْسَ هَذَا مِنْ عِنْدِي يَا وَلَدِي، وَلَا يَدَ لِي فِيهِ؛ فَأَنَا وَأَنْتَ مَلِكٌ لِلْخَالِقِ
الْكَرِيمِ، وَهُوَ يَأْمُرُنِي الْآنَ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَا أُعْطِيَ، يَسْتَرِدَّ مَلِكُهُ.

فماذا يكونُ موقفُ الغلامِ الحليمِ؟!

- لقد ارتفعَ الابنُ إلى الأفقِ الذي ربَّاه عليه أبوه، ربَّاه على أزكى الأخلاقِ وأرفعِ الآدابِ، وهنا تظهرُ ثمرةُ التربيةِ الحسنةِ.

لقد أشرقَ قلبُ الغلامِ إسماعيلَ بالإيمانِ ومحبةِ اللهِ وطاعتهِ والتسليمِ المطلقِ له فيما يأمره ومن غير تردد يقول إسماعيلُ:

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

برُّ بآبيه عجيبٌ جداً إذ قالَ له وهو يحسُّ أنَّ الأمرَ من الله «يا أبت» في لطفٍ وأدبٍ وهدوءٍ وخلقٍ حسنٍ وطاعةٍ للوالدِ الممتحنِ ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

لكنْ كيف؟! كيفَ يتحمَّلُ الأبُّ أنْ ينظرَ في عيني ولده وهو يذبحُه؟ وكيفَ يقاومُ محبتهِ له ودقاتِ قلبه التي تدقُّ بالرحمةِ عليه؟

أدركَ الغلامُ الزكيُّ الطاهرُ أنَّ أباهُ قد تملَّكتَه الحيرةُ، فأرادَ أنْ يخفِّفَ عنه: يا أبتِ اشددْ وثاقي، وأحكمِ رباطي حتَّى لا أهتزَّ ألماً أو أضطربَ أمامَكَ.

واكشَفْ عَنِّي ثَوْبِي حَتَّى لَا تَسْقُطَ عَلَيْهِ قَطْرَاتٌ مِنْ دَمِي فَيَنْقُصَ أَجْرِي،
وَتَرَاهُ أُمِّي فَيَشْتَدُّ أَلْمُهَا وَحُزْنُهَا. يَا أَبَتَ، أَطْعِ اللَّهَ، وَاشْحَذْ سِكِّينَكَ، وَأَسْرِعْ
بَهَا عَلَى رَقَبَتِي لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيَّ. هَيَّا يَا أَبَتِ وَاللَّهُ مَعَكَ.

تَسَاقَطَتْ دَمْعَاتُ الْأَلَمِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ عَيْنِي إِبْرَاهِيمَ، وَتَهَدَّجَ صَوْتُهُ:
يَا وَلَدِي، أَنْتَ نَعَمَ الْوَلَدُ، وَنَعَمَ الْعَوْنُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ. ثُمَّ أَخَذَهُ إِلَى صَدْرِهِ،
وَضَمَّهُ بِشِدَّةٍ، وَهُوَ يَبْكِي، وَيَكِي مَعَهُ إِسْمَاعِيلُ.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ يَاللَّادِبِ مَعَ اللَّهِ، يَالرَّوْعَةِ الْإِيمَانِ!
وَيَالنَّبْلِ طَاعَةِ الْوَالِدِ! وَيَالْعِظْمَةِ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ!

وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ يَرْبُطُ وَلَدَهُ، وَيُوسِدُهُ الْأَرْضَ، وَوَجَّهَهُ إِلَى أَعْلَى، فَأَخَذَ
السَّكِينَ، وَمَرَّ بِهَا عَلَى رَقَبَتِهِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا. وَهُنَا نَادَاهُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتَ،
يَدُكَ تَهْتَزُّ، وَدُمُوعُكَ تَنْهَمِرُ. اقْلِبْنِي عَلَى وَجْهِِي يَا أَبَتِ؛ حَتَّى لَا تَذَرِكَ
رِقَّةً، فَتَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ.

فَعَلَ الْخَلِيلُ هَذَا.. ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣]. أَسْلَمَ
وَاسْتَسْلَمَ الْوَالِدُ وَابْنَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ بِكَامِلِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ.. إِنَّهَا حَقًّا مُعْجَزَةٌ..
إِنَّهُ بَلَاءٌ وَأَيُّ بَلَاءٍ!!

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾

[الصافات : ١٠٤ - ١٠٧]

لقد صدَّقَ إبراهيمُ الرؤيا، ونجحَ في الامتحانِ العَصِيبِ فنالَ الجزاءَ من الله القدير.

فالتفتَ إلى يَمِينِهِ، فإذا بِكَبَشٍ أَمْلَحَ مِنَ الْجَنَّةِ !
وأنصَتَ إلى هَاتِفٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَذْبَحَ الْكَبْشَ بَدَلًا مِنْ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ .
قامَ إبراهيمُ عَنْ وَلَدِهِ، وَأَخَذَ يَقْبَلُهُ وَيَبْكِي، وَهُوَ يَقُولُ: الْيَوْمَ وَهَبَكَ اللَّهُ لِي يَا بُنَيَّ .

وَأَسْرَعَ يَشْتَغِلُ بِذَبْحِ الْكَبْشِ .
وَحَمَدَ إبراهيمُ رَبَّهُ، وَسَجَدَ لَهُ شُكْرًا وَحَمْدًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَبَحَ وَلَدَهُ لَصَارَتْ سُنَّةٌ، وَلَذَبَحَ النَّاسُ أَبْنَاءَهُمْ، لَكِنَّهَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ .
ومن هنا مضتْ سُنَّةُ النحرِ لعيدِ الأضحى عند المسلمين إحياءً لهذا

الحادثِ العظيم الذي يصلحُ أن يكونَ عنواناً للتسليمِ لطاعةِ الله تعالى، وأن يكونَ قدوةً للأبناء في طاعة الآباء.

وما أجملَ هذه القصيدةَ التي تروي لنا هذه القصةَ العظيمةَ:

أضناه الحزنُ وأشقاه	فاضت بالعبرة عيناه
تندى بالدمع لحاه	شيخٌ تمزقُ مهجته
والكونُ يناشدُ مسراه	يتزعُ الخطوةَ مهموماً
يتعقبُ في السيرِ أباه	وغلامٌ جاءَ على كبرِ
وتبعثرُ في الدربِ خطاه	والحيرةُ ثقلُ كاهله
ويشدُّ الابنُ بيميناه	ويهمُّ الشيخُ لغايته
والشيخُ يكابدُ بلواه	بلغا في السعيِ نهايته
صدقٌ وقرارٌ يرضاه	لكنَّ الرؤيا للنبيِّ
وأشدُّ الأمرِ وأقصاه	والمشهدُ يبلغُ ذروته

إِذْ تَمَرَّقُ كَلِمَاتُ عَجَلَى وَيَقْصُرُ الْوَالِدُ رُؤْيَاهُ

«إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ»

وَيَجِيبُ الْابْنُ بِلَا فَرْعٍ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ أَبَتَاهُ

لَنْ أَعْصِيَ لِإِلَهِي أَمْرًا مِنْ يَعْصِي يَوْمًا مَوْلَاهُ؟

وَاسْتَلَّ الْوَالِدُ سَكِينًا وَاسْتَسْلَمَ ابْنٌ لِرَدَاهُ

أَلْقَاهُ بَرَفَقٍ لَجْبِينَ كِي لَا تَتَلَقَى عَيْنَاهُ

أَرَأَيْتُمْ قَلْبًا أَبْوِيًّا يَتَقَبَّلُ أَمْرًا يَا بَاهُ

أَرَأَيْتُمْ ابْنًا يَتَلَقَّى أَمْرًا بِالذَّبْحِ وَيَرْضَاهُ

وَدَعَاءٌ يَقْبَلُهُ اللَّهُ وَتَهْزُ الْكُونُ صَرَاعَاتُ

تَتَوَسَّلُ لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى أَرْضٌ وَسَمَاءٌ وَمِيَاهُ

وَيَقُولُ الْحَقُّ وَرَحْمَتُهُ سَبَقَتْ فِي فَضْلِ عَطَايَاهُ

صَدَّقْتُ الرُّؤْيَا لَا تَحْزَنُ يَا إِبْرَاهِيمُ فَدِينَاهُ

يَا إِبْرَاهِيمُ .. يَا إِبْرَاهِيمُ .. يَا إِبْرَاهِيمُ فَدِينَاهُ

وَيَرْجِعُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ إِلَى هَاجَرَ، وَتَرَى هَاجَرُ وَلَدَهَا مُمْتَقِعَ اللَّوْنِ فَسَأَلَتْهُ عَمَّا بِهِ، فَقَالَ: لَيْتَكَ كُنْتَ مَعَنَا يَا أُمًّا... وَأَخَذَ يَحْكِي لَهَا مَا حَدَثَ.

لَقَدْ فَدَاهُ اللَّهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَيَعِيشُ الذَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ، وَيَسْتَقِيمُ عُدُّهُ، وَيَتَعَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ قَوْمِ جُرْهُمٍ، ثُمَّ يَنْزَوِجُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمْ.

لَكِنْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ تَمُوتَ أُمُّهُ وَهُوَ فِي قِمَّةِ سَعَادَتِهِ.

ويزوره أبوه بين الحين والآخر، فيتذاكران الماضي، ويطمئن الأب على ولده. وفي مرة زار إبراهيمُ ابنه إسماعيلَ وأخبره أن الله قد أمره ببناء البيت، فاستجاب له إسماعيلُ، وأخذاً يرفعان قواعد البيت حجراً حجراً. ولما فرغاً دعا إبراهيمُ ربه: ﴿... رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَأَذَّنَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَى الْكَعْبَةِ، صَعِدَ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ وَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا رَبَّكُمْ. لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ..

وَيَظَلُّ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَيَذْكُرُونَ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحَ.

فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ.



obeikandi.com